

موضوع باختصار. الإيثار يصلح أن يكون خطبة أو كتاب أو درس علمي.

الإيثار

أهميته وأنواعه ومواطنه

لأبي محمد طاهر السماوي

كان الله له في الدارين

الإيثار

لغة:

الإيثار مصدر قولهم آثره عليه يؤثره إيثارا بمعنى فضّله وقَدّمه وهو مأخوذ من مادّة (أث ر) التي تدلّ على تقديم الشّيء « ١ » ومن ذلك قولهم: الأثير وهو الكريم عليك الذي تؤثره بفضلك وصلتك. « ٢ »

واصطلاحاً:

قال القرطبي **رَحِمَهُ اللهُ**: الإيثار هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيويّة رغبة في الحظوظ الدّينيّة، وذلك ينشأ عن قوّة اليقين وتوكيد المحبّة، والصّبر على المشقّة « ٣ ».

درجات الإيثار:

قال ابن القيم - **رَحِمَهُ اللهُ** -: الإيثار على درجات:
الأولى: أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك ديناً، ولا يقطع عليك طريقاً، ولا يفسد عليك وقتاً. يعني أن تقدّمهم على نفسك في مصالحهم، مثل أن تطعمهم وتجوّع، وتكسوهم وتعري، وتسقيهم وتظمأ، بحيث لا يؤدّي ذلك إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدّين. وكلّ سبب يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلا تؤثر به أحداً، فإن آثرت به فإنّما تؤثر الشّيطان على الله وأنت لا تعلم.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (١ / ٥٣)

(٢) النهاية لابن الأثير (٢٢١)، والصّاح للجوهري (٥٧٥٢) ولسان العرب (١ / ٢٦)

(٣) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (١٨ / ١٨)

الثانية: إيثار رضا الله على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطول والبدن وإيثار رضا الله- عز وجل- على غيره: هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته، ولو أغضب الخلق وهي درجة الأنبياء. وأعلاها للرسل عليهم صلوات الله وسلامه. وأعلاها لأولي العزم منهم وأعلاها لنبيينا ﷺ وعليهم؛ فإنه قاوم العالم كله، وتجرّد للدعوة إلى الله، واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالى، وآثر رضا الله على رضا الخلق من كل وجه، ولم يأخذه في إيثار رضاه لومة لائم بل كان همه وعزمه وسعيه كله مقصورا على إيثار مرضاة الله وتبليغ رسالاته، وإعلاء كلماته، وجهاد أعدائه؛ حتى ظهر دين الله على كل دين وقامت حجته على العالمين وتمت نعمته على المؤمنين، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه فلم ينل أحد من درجة هذا الإيثار ما نال- صلوات الله وسلامه عليه.

هذا وقد جرت سنة الله- التي لا تبدل لها- أن من آثر مرضاة الخلق على مرضاته: أن يسخط عليه من آثر رضاه، ويخذله من جهته، ويجعل محنته على يديه، فيعود حامده ذامًا، ومن آثر مرضاته ساخطا، فلا على مقصوده منهم حصل، ولا إلى ثواب مرضاة ربه وصل. وهذا أعجز الخلق وأحمقهم.

قال الشافعي - رحمه الله -: رضا الناس غاية لا تدرك فعليك بما فيه صلاح نفسك فالزمه.

ومعلوم أن لا صلاح للنفس إلا بإيثار رضا ربها ومولاها على غيره، ولقد أحسن من قال:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين خراب
إذا صحّ منك الودّ فالكلّ هيّن ... وكلّ الذي فوق التراب تراب

الثالثة: أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك، وأنه هو الذي تفرّد بالإيثار لا أنت، فكأنك سلّمت الإيثار إليه، فإذا أثرت غيرك بشيء؛ فإنّ الذي آثره هو الحق لا أنت فهو

المؤثر على الحقيقة، إذ هو المعطي حقيقة « ١ » .

أهمية الإيثار تتجلى في أمور منها:

الإيثار دليل على صدق الأخوة.

عن **حذيفة العدوي**، قال: « انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمّ لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به، فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ أن نعم. فإذا رجل يقول آه. فأشار ابن عمّي إليّ أن انطلق به إليه فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه. فأشار هشام: انطلق به إليه فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمّي فإذا هو قد مات. رحمة الله عليهم أجمعين » « ٢ » .

وحكي عن **أبي الحسن الأنطاكّي**: أنّه اجتمع عنده ثيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الرّي، ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم، فكسروا الرّغفان، وأطفئوا السّراج، وجلسوا للطّعام، فلمّا رفع فإذا الطّعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئا، إيثارا لصاحبه على نفسه » « ٣ » .

الإيثار سبب للعوض من الله تعالى.

(١) مدارج السالكين (٢ / ٣٠٤)

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي ٣ (٢٥٨) ، وتفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٨)

(٣) القرطبي (١٨ / ١٩)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: مَنْ يَفْرُضَ الْيَوْمَ ، يُجْزَى عَذَابًا وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا حَلَقًا وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَقًا ». « ١ »

عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زوج النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ مَسْكِينًا سَأَلَهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ، فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، فَقَالَتْ: لَيْسَ لَكَ مَا تَفْطِرِينَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ. قَالَتْ: فَفَعَلْتُ. قَالَتْ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا أَهْدَى لَنَا أَهْلُ بَيْتٍ أَوْ إِنْسَانٌ مَا كَانَ يَهْدِي لَنَا: شَاةً وَكَفْنَهَا. فَدَعَتْنِي عَائِشَةُ فَقَالَتْ: كُلِي مِنْ هَذَا، فَهَذَا خَيْرٌ مِنْ قِرْصِكَ. « ٢ » .

الإيثار أعلى درجات السخاء والكرم وطيب النفس.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ، وَلَمْ أَتُبَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا ». « ٣ »

قال الغزالي: « والإيثار أعلى درجات السخاء ». « ٤ » .

عن نافع أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اشْتكى واشتهى عنبًا، فَأَشْرَى لَهُ عَنْقُودَ بَدْرِهِمْ، فَجَاءَ مَسْكِينٌ فَسَأَلَ، فَقَالَ: أَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَخَالَفَ إِنْسَانٌ فَاشْتَرَاهُ بَدْرِهِمْ، ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى ابْنِ

(١) البخاري (١٣٧٤) مسلم (١٠١٠)

(٢) القرطبي (١٩ / ١٨)

(٣) البخاري (٣٤٧٢) مسلم (١٧٢١)

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (٢٥٨ / ٣)

عمر، فجاء المسكين فسأل، فقال: أعطوه إيّاه، ثم خالف إنسان فاشتراه بدرهم، ثم جاء به إليه، فأراد السائل أن يرجع فمنع. ولو علم ابن عمر أنّه ذلك العنقود مذاقه. لأنّ ما خرج لله لا يعود فيه. «١»

عن مالك الدّار: أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أخذ أربعمئة دينار، فجعلها في صرة، ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلكأ ساعة في البيت حتّى تنظر ماذا يصنع بها. فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتّى أنفدها. فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل. وقال: اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل، وتلكأ في البيت ساعة حتّى تنظر ماذا يصنع، فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، وقال: يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا، فاطّلت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا. ولم يبق في الخرقه إلّا ديناران فنحا بهما إليها. فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسرّ بذلك عمر وقال: إنهم إخوة! بعضهم من بعض. «٢»

سئل ذو النّون المصريّ: ما حدّ الزّاهد المنشرح صدره؟ قال ثلاث: تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، والإيثار عند القوت. «٣».

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأس شاة، فقال: إنّ أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منّا.

(١) القرطبي (١٨ / ١٩)

(٢) القرطبي (١٨ / ١٩)

(٣) القرطبي (١٨ / ٢٠)

فبعث به إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول فنزلت ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر: ٩. « ١ »

الإيثار دليل على كرم النفوس.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُسُفُّ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٩٠ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ ٩١ ﴿أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ﴾ يوسف: ٩٠ - ٩٢

وقال أبو يزيد البسطامي: ما غلبنى أحد ما غلبنى شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجاً، فقال لي: يا أبا يزيد! ما حد الزهد عندكم؟ فقلت: إن وجدنا أكلنا وإن فقدنا صبرنا، فقال: هكذا كلاب بلخ عندنا، أي: ما هو الفرق؟ فقلت: وما حد الزهد عندكم؟ قال: إن فقدنا شكرنا، وإن وجدنا آثرنا. « »

وسئل ذو النون المصري: ما حد الزاهد المنشرح صدره؟ قال ثلاث: تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، والإيثار عند القوت. « »

الإيثار من أسباب دخول الجنة.

عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أنها قالت: جاءني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما ثمرة ورفعت إلى فيها ثمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتها فشقت الثمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي

صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار». «١» .

إيثار النبي ﷺ.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه - قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة فقال سهل للقوم، أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه؟ فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فأكسنيها؟ فقال: «نعم» فلما قام النبي ﷺ لأمه أصحابه فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجا إليها ثم سألتها إيّاها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلّي أكفّن فيها. «٢»

الإيثار من صفات المؤمنين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ الحشر: ٩

عن قيس بن سعد بن عباد - رضي الله عنه - وكان من الأجواد المعروفين - حتى إنّه مرض مرّة فاستبطأ إخوانه في العيادة، فسأل عنهم، فقالوا: إنهم كانوا يستحيون ممّا لك

(١) مسلم (٢٦٣٠)

(٢) البخاري (٦٠٣٦)

عليهم من الدين؛ فقال: أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة. ثم أمر مناديا ينادي من كان لقيس عليه مال فهو في حلّ. فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه لكثرة من عاده». «١» .

عن أنس بن مالك - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل - وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله **ﷺ** يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ **آل عمران: ٩٢** . قام أبو طلحة إلى رسول الله **ﷺ** فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَإِنْ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بِرِحاء، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله **ﷺ** : «بخ ذلك مال رابح. ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» . فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عَمّه. «٢»

عن أبي موسى الأشعري - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: قال رسول الله **ﷺ** : «إِنَّ الْأَشْعَرِيَّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنْاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهَمَّ مَنِّي، وَأَنَا مِنْهُمْ». «٣» .

عن إسماعيل بن عياش قال في **عبد الله بن المبارك**: ما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها في عبد الله بن

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٠٤)

(٢) البخاري (١٤٦١) واللفظ له، ومسلم (٩٩٨)

(٣) البخاري (٢٤٨٦) ، ومسلم (٢٥٠٠) متفق عليه.

المبارك، ولقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان، يطعمهم الخبيص، وهو الدهر صائم. «١»

عن أنس بن مالك - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاريّ وعند الأنصاريّ امرأتان فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال: بارك الله لك في أهلك ومالك دلّوني على السوق، فأتى السوق فربح شيئاً من أقط وشيئاً من سمن فراه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة، فقال: مهيم يا عبد الرحمن؟ فقال: تزوّجت أنصاريّة. قال: «فما سقت؟». قال: وزن نواة من ذهب قال: «أو لم ولو بشاة». «٢».

أنواع الإيثار

إيثار الله تعالى ومرضاته على غيره.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا أُقْطِعُ عَنْ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا ضَلْبَتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۝٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٧٢﴾ طه: ٧١ - ٧٢

(١) تاريخ بغداد (١٠ / ١٥٧)

(٢) البخاري (٥٠٧٢) واللفظ له، ومسلم (١٤٢٧)

إيثار الحق وتقديمه على الباطل

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقَطِّعَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَتْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ﴾ (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ﴾ (٧٢)

طه: ٧١ - ٧٢

الإيثار للأقربين

عن أنس بن مالك - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل - وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله **ﷺ** يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ **آل عمران: ٩٢**. قام أبو طلحة إلى رسول الله **ﷺ** فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَإِنْ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بِيرْحَاءٍ، وَإِنَّمَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بَرَّهَا وَذَخَرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ. قال: فقال رسول الله **ﷺ**: «بخ ذلك مال رابح. ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. «١»

عن أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - عن رسول الله **ﷺ**، قال: «أنا أولى الناس بالمؤمنين في كتاب الله - عز وجل -، فأياكم ما ترك ديناً أو ضيعة فادعوني فأنا وليه. وأياكم ما ترك مالا فليؤثر بماله عصبتة من كان». «٢».

(١) البخاري (١٤٦١) واللفظ له، ومسلم (٩٩٨)

(٢) مسلم (١٦١٩)

إيثار الضيف.

عن أبي هريرة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - أَنَّ رجلاً أتى النَّبِيَّ ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء. فقال رسول الله ﷺ: «من يضمّ - أو يضيف - هذا؟» فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك وتؤمي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها وأصبحت سراجها وتؤمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلوا يريانها أنّهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «ضحك الله الليلة - أو عجب من فعالكما - فأنزل الله وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». «١» .

عن ابن أسيد الأنصاري - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** - قال: قال رسول الله ﷺ: «خير دور الأنصار دار بني النّجار، ودار بني عبد الأشهل، ودار بني الحارث بن الخزرج، ودار بني ساعدة، والله لو كنت مؤثراً بها أحدا لآثرت بها عشيرتي». «٢» .

إيثار الولد.

عن عائشة - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** - أنّها قالت: جاءني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كلّ واحدة منهما ثمرة ورفعت إلى فيها ثمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتها فشقت الثمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي

(١) البخاري (٣٧٩٨) واللفظ له، ومسلم (٢٠٥٤)

(٢) مسلم (٢٥١١)

صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار». «١» .

إيثار الوالدين.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَرَجَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُم: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرِجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْجَلَابِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصَّبِيَّةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبِي وَدَائِبُهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفَرَّجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لَا تَتَالَ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَّجَ عَنْهُمْ الثَّلَاثِينَ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا يَفْرِقُ مِنْ دُرَّةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَرَزَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَتَّى، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيَهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكَشِفَ عَنْهُمْ «٢» .

(١) مسلم (٢٦٣٠)

(٢) البخاري (٢٢١٥) مسلم (٢٧٤٣)

عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ. قَالَ حَمِيدٌ: فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمُّهُ حِينَ دَعَتْهُ، كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ، فَقَالَتْ: «يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ كَلِّمْنِي فَصَادَقْتُهُ يُصَلِّي، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَرَجَعَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي، قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِي وَإِلَيَّ كَلِّمْتُهُ، فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، اللَّهُمَّ فَلَا تُمِثَّهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُؤْمِسَاتِ». قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ... الحديث «١»

إِثَارَ الْإِخْوَانِ

عن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفَرُ فَعَرَضَتْ كَدِيَّةٌ شَدِيدَةٌ فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كَدِيَّةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ» ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَعُولَ فَضْرَبَ فِي الْكَدِيَّةِ فَعَادَ كَثِيرًا أَهِيلًا أَوْ أَهِيمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ، فَقُلْتُ لَامْرَأَتِي: رَأَيْتُ فِي النَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعِنَاقٌ فَذَبَحْتُ الْعِنَاقَ وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ بِالْبُرْمَةِ. ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينَ قَدْ انْكَسَرَ وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ. فَقُلْتُ: طَعِيمٌ لِي فَقَمِ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ.

قال: «كم هو؟» فذكرت له فقال: «كثير طيب» قال: «قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التَّنَوُّرِ حَتَّى آتِي، فقال: «قوموا». فقام المهاجرون والأنصار فلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ.

قال: ويحك جاء النَّبِيُّ ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سَأَلْتُكَ؟ قلت: نعم. فقال: «ادخلوا ولا تضاعطوا». فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة

والتَّوَرَّ إذا أخذ منه، ويقَرَّب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتَّى
شبعوا وبقي بقيَّة. قال: «كلي هذا وأهدي فإنَّ النَّاس أصابَتْهم مجاعة». «١» .

عن أبي هريرة - **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** - قال: قال رسول الله **ﷺ**: «طعام الاثنين كافي الثلاثة،
وطعام الثلاثة كافي الأربعة». وفي لفظ لمسلم: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام
الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية». «٢» .

عن أنس بن مالك - **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** - قال: قال أبو طلحة لأمِّ سليم: لقد سمعت صوت
رسول الله **ﷺ** ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم. فأخرجت
أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا لها فلقت الخبز ببعضه، ثم دسسته تحت يدي ولا
ثنتي ببعضه ثم أرسلتني إلى رسول الله **ﷺ**. قال: فذهبت به فوجدت رسول الله **ﷺ** في
المسجد ومعه النَّاس فقامت عليهم، فقال لي رسول الله **ﷺ**: «أرسلك أبو طلحة؟ فقلت:
نعم. قال: «بطعام؟» قلت: نعم. فقال رسول الله **ﷺ** لمن معه: «قوموا» فانطلق وانطلقت
بين أيديهم حتَّى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة: يا أمِّ سليم قد جاء رسول
الله **ﷺ** بالنَّاس وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة
حتَّى لقي رسول الله **ﷺ**: فأقبل رسول الله **ﷺ** وأبو طلحة معه، فقال رسول الله **ﷺ**:
هلمَّي يا أمِّ سليم ما عندك، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله **ﷺ** ففتَّ، وعصرت
أمِّ سليم عكَّة فأدتمته، ثم قال رسول الله **ﷺ** فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال:
«أئذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتَّى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «أئذن لعشرة» فأذن
لهم، فأكلوا حتَّى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «أئذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتَّى شبعوا

(١) البخاري (٤١٠١)

(٢) البخاري (٥٣٩٢)، مسلم (٢٠٥٨، ٢٠٥٩)

ثمّ خرجوا، ثمّ قال: «أئذن لعشرة» فأكل القوم كلّهم حتّى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا. «١» .

عن أبي جعفر محمد بن عبد الرحمن الصيرفي قال: بعث إلي الحكم بن موسى في أيام عيد أنه يحتاج إلى نفقة، ولم يك عندي إلا ثلاثة آلاف درهم، فوجهت إليه بها، فلما صارت في قبضته وجه إليه خلاد بن أسلم أنه يحتاج إلى نفقة، فوجه بها كلها إليه، واحتجت أنا إلى نفقة، فوجهت إلى خلاد إني أحتاج إلى نفقه، فوجه بها كلها إليّ، فلما رأيته مصرورة في خرقته، وهي الدراهم بعينها أنكرت ذلك، فبعثت إلى خلاد: حدثني بقصة هذه الدراهم، فأخبرني أن الحكم بن موسى بعث بها إليه، فوجهت إلى الحكم منها بألف، ووجهت إلى خلاد منها بألف، وأخذت أنا منها ألفا. «٢»

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّه كان يقول: الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع. وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمرّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني، فمرّ ولم يفعل، ثمّ مرّ أبو القاسم عليه السلام فنبسّم حين رأي وعرف ما في نفسي وما في وجهي. ثمّ قال: «يا أبا هرّ» قلت: لبيك رسول الله قال: «الحق» ومضى. فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي، فدخل فوجد لبنا في قدح فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهده لك فلان - أو فلانة - قال: «أبا هرّ» قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «الحق إلى أهل الصّفة فادعهم لي» . قال - وأهل الصّفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد. إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هديّة أرسل إليهم وأصاب منها، وأشركهم فيها - فسأني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصّفة؟ كنت أحقّ أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاءوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلّى الله عليه وآله بدّ فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت.

(١) البخاري (٣٥٧٨) ، ومسلم (٢٠٤٠)

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٣٤٣)

قال: يا أبا هرّ، قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «خذ فأعطهم». فأخذت القدح فجعلت أعطيهِ الرجل فيشرب حتّى يروى، ثمّ يردّ عليّ القدح حتّى انتهيت إلى النّبي ﷺ وقد روي القوم كلّهم. فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسّم فقال: «أبا هرّ»، قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «بقيت أنا وأنت»، قلت: صدقت يا رسول الله. قال: «اقعد فاشرب»، فقعدت فشربت. فقال: «اشرب»، فشربت فما زال يقول: «اشرب». حتّى قلت: لا والذي بعثك بالحقّ ما أجد له مسلّكا. قال: «فأرني» فأعطيته القدح فحمد الله وسمّى وشرب الفضلة. «١».

عن قيس بن سعد بن عبادة - **رضي الله عنه** - وكان من الأجواد المعروفين - حتّى إنّه مرض مرّة فاستبطأ إخوانه في العيادة، فسأل عنهم، فقالوا: إنّهم كانوا يستحيون ممّا لك عليهم من الدّين؛ فقال: أخزى الله ما لا يمنع الإخوان من الزيارة. ثمّ أمر مناديا ينادي من كان لقيس عليه مال فهو في حلّ. فما أمسى حتّى كسرت عتبة بابه لكثرة من عاده. «٢».

وعن علقمة بن مرثد **رضي الله عنه** قال: وأمّا الحسن، فما رأيّنا أحداً أطول حُزناً منه، ما كُنّا نراه إلّا حديث عهد بمصيبة، ثمّ قال: نضحك ولا ندري لعلّ الله قد اطلع على بعض أعمالنا. وقال: لا أقبلُ منكم شيئاً، ويحك يا ابن آدم! هل لك بمُحاربة الله - يعني: قوّة - والله لقد رأيّنا أقواماً كانت الدُّنيا أهونَ على أحدهم من التُّراب تحت قدميه، ولقد رأيّنا أقواماً يُمسي أحدهم ولا يجدُ عنده إلّا قوّة، فيقول: لا أجعلُ هذا كلّهُ في بطني. فيتصدّق ببعضه، ولعلّه أجوعٌ إليه ممّن يتصدّق به عليه. «٣»

(١) البخاري (٦٤٥٢)

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٠٤)

(٣) السير (٥٨٥/٤)

إيثار اليتامى والمحتاجين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً

وَلَا شُكُورًا ﴿١﴾ الإنسان: ٨ - ٩

عن الحسن: أن ابن عمر كان إذا تغدى أو تعشى دعا من حوله من اليتامى، فتغدى ذات يوم، فأرسل إلى يتيم فلم يجده، وكانت له سوقة محلاة يشربها بعد غدائه، فجاء اليتيم وقد فرغوا من الغداء، ويده السوقة ليشربها، فناولها إياه، وقال: خذها فما أراك غبت. «١»

قَالَ ابْنُ لُبَابَةَ الْحَافِظُ: كَانَ بَقِيَّ بن مَخْلَدٍ مِنْ عُقَلَاءِ النَّاسِ وَأَفْاضِلِهِمْ، وَكَانَ أَسْلَمَ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يُقَدِّمُهُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ لَقِيَهُ بِالْمَشْرِقِ، وَيَصِفُ زُهْدَهُ، وَيَقُولُ: رَبِّمَا كُنْتُ أُمَشِي مَعَهُ فِي أَرْقَةٍ قُرْطُبَةَ، فَإِذَا نَظَرَ فِي مَوْضِعٍ خَالٍ إِلَى ضَعِيفٍ مُحْتَاجٍ أَعْطَاهُ أَحَدَ ثَوْبَيْهِ «٢»

من مواطن الإيثار

الإيثار عند تعارض المصالح الدينية والدينية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقَطِّعُوا أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا تُصَلِّبُوا فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢)

طه: ٧١ - ٧٢

(١) الحلية (تهذيبه) (٢٩٩ / ١)

(٢) السيرة (٢٩٢ / ١٣)

عن أبي هريرة - **رضي الله عنه** - قال: قال رسول الله **ﷺ**: «إن الله قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالتوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته». «١» .

الإيثار عند الحاجة إلى الطعام

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ **الحشر: ٩**

عن أبي هريرة **رضي الله عنه** أن رجلاً أتى النبي - **ﷺ** - فقال: يا رسول الله! أصابني الجهد، فبعث إلى نسائي، فقلن: ما معنا إلا الماء. فقال رسول الله - **ﷺ** -: «من يضئ - أو يضيئ - هذا [هذه الليلة]». فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله - **ﷺ** - لا تدخريه شيئاً. فقالت: والله ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هبني طعامك، وأصباحي سراجك، وتومي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، وتعالني فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة. فهبأت طعامها، وأصبحت سراجها، وتومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلتا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طويلاً، فلما أصبح غدا إلى رسول الله - **ﷺ** -، فقال: «ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعاليكما

«. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ

هُمْ الْمُقْلِحُونَ﴾ (٩) الحشر: ٩. «١»

عن مَنْصُورٍ الْغَضَارِيِّ قَالَ: شَاهَدْتُ الْحَافِظَ عَبْدَ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيَّ فِي الْغَلَاءِ بِمَضَرٍّ وَهُوَ ثَلَاثَ لَيَالٍ يُؤْثِرُ بَعْشَائِهِ وَيَطْوِي.^٢

الإيثار في الإنفاق من المال قليلا أو كثيرا

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٩٢)

آل عمران: ٩٢

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ يَبْرَحِي، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران: ٩٢. قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران: ٩٢. وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ يَبْرَحِي، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَدُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعُفًا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَيْثُ شِئْتُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» فَتَسَمَّيْتُ أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ «٣»

قَالَ يُوسُفُ بْنُ الْبُهْلُولِ الْأَزْرَقِيُّ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ، قَالَ: أَظَلَّ الْعِيدُ رَجُلًا وَعِنْدَهُ مَائَةٌ دِينَارٍ لَا يَمْلِكُ سِوَاهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ صَدِيقٌ يَسْتَرْعِي مِنْهُ نَفَقَةً، فَأَتَقَدَّ إِلَيْهِ بِالمائةِ دِينَارٍ، فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ رُقْعَةٌ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِهِ يَذْكُرُ أَنَّه أَيْضًا فِي هَذَا الْعِيدِ فِي إِصَاقَةٍ،

(١) البخاري (٣٧٩٨) مسلم (٢٠٥٤)

(٢) السير (٤٥٧ / ٢١)

(٣) البخاري (١٤٦١) مسلم (٩٩٨)

فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْصُّرَّةِ بَعَيْنَهَا. قَالَ: فَبَقِيَ الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ عِنْدَهُ، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى الثَّلَاثِ وَهُوَ صَدِيقُهُ يَذْكُرُ حَالَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الصُّرَّةَ بِخَتْمِهَا. قَالَ: فَعَرَفَهَا، وَرَكِبَ إِلَيْهِ. وَقَالَ: خَرَّيْنِي، مَا شَأْنُ هَذِهِ الصُّرَّةِ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَرَكِبَا مَعًا إِلَى الَّذِي أَرْسَلَهَا، وَشَرَحُوا الْقِصَّةَ، ثُمَّ فَتَحُوهَا، وَاقْتَسَمُوهَا. قَالَ ابْنُ الْبُهْلُولِ: الثَّلَاثَةُ: يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ، وَأَبُو حَسَّانِ الزِّيَادِيُّ، وَآخَرُ نَسَبَتُهُ. قَالَ الذَّهَبِيُّ: إِسْنَادُهَا صَحِيحٌ. «١»

الإيثار في القربات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْبَدَأِ وَالصَّيْفِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ، لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا». «٢»

عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: يا عبد الله بن عمر، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها- فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها أن أدفن مع صاحبتي. قالت كنت أريده لنفسني فلا وثرته اليوم على نفسي. فلما أقبل قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع فإذا قبضت فاحملوني، ثم سلّموا ثم قل: يستأذن عمر ابن الخطاب فإن أذنت لي فادفوني، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين، إني لا أعلم أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء الثفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة فاسمعوا له وأطيعوا. فسَمِيَ عثمان وعليًا وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص. وولج عليه شاب من الأنصار فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله: كان لك من القدم في الإسلام ما قد علمت، ثم استخلفت فعدلت، ثم الشهادة بعد هذا كله. فقال: ليتني يا ابن أخي وذلك كفافا لا علي ولا لي، أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين خيرا: أن يعرف لهم حقهم، وأن يحفظ لهم حرمتهم. وأوصيه بالأنصار خيرا- الذين تبوءوا الدار

(١) السير (٤٩٨/١١)

(٢) البخاري (٦١٥) مسلم (٤٣٧)

والإيمان - أن يقبل من محسنهم، ويعفى عن مسيئتهم. وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلّفوا فوق طاقتهم». «١» .

الإيثار عند القتل ومواطن الهلكة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحِجَفَةٍ»، قَالَ: «وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا زَامِيًا، شَدِيدَ النَّزْعِ، وَكَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»، قَالَ: «فَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجَعْبَةُ مِنَ التَّنْبَلِ»، فَيَقُولُ: «انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ»، قَالَ: " «وَيُشْرِفُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَا تُشْرِفْ، لَا يُصْنَبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ» . «٢»

عن علي بن محمد: طَلَبَ الْحَجَّاجُ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيَّ، فَجَاءَ الرَّسُولُ، فَقَالَ: أُرِيدُ إِبْرَاهِيمَ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: أَنَا إِبْرَاهِيمُ. وَلَمْ يَسْتَجِلَّ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى النَّخَعِيِّ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ فِي الدِّيمَاسِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ظِلٌّ مِنَ الشَّمْسِ، وَلَا كَيْتٌ مِنَ الْبَرْدِ، وَكَانَ كُلُّ اثْنَيْنِ فِي سِلْسِلَةٍ، فَتَغَيَّرَ إِبْرَاهِيمُ، فَعَادَتْهُ أُمُّهُ، فَلَمْ تَعْرِفْهُ، حَتَّى كَلَّمَهَا، فَمَاتَ. فَرَأَى الْحَجَّاجُ فِي نَوْمِهِ قَائِلًا يَقُولُ: مَاتَ فِي الْبَلَدِ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَسَأَلَ، فَقَالُوا: مَاتَ فِي السِّجْنِ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ. فَقَالَ: حُلْمٌ نَزَعَةٌ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ. وَأَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ عَلَى الْكُنَاسَةِ. «٣»

عن أبي بكر القوطي وأبي عمرو بن الأدي قال - وكانا يتواخيان - : خرجنا من بغداد نريد الكوفة، فلما صرنا في بعض الطريق إذا نحن بسبعين رابضين على الطريق، فقال أبو بكر لأبي عمرو: أنا أكبر سنًا منك دعني حتى أتقدمك، فان كانت حادثة اشتغلوا بي عنك،

(١) البخاري (١٣٩٢)

(٢) البخاري (٣٨١١) مسلم (١٨١١)

(٣) السير (٦٢ / ٥)

ونجوت أنت، فقال أبو عمرو: نفسي ما تسامحني بهذا، ولكن نكون جمعاً في مكان واحد، فان كانت حادثة كنا جميعاً، فجازا جميعاً في وسط السبعين فلم يتحركا، ومرا سالمين. «١»

مواطن الإيثار المحرم

إيثار الدنيا على الآخرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّٰ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ النجم: ٢٩ - ٣٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ النازعات: ٣٧ - ٣٩

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ الأعلى: ١٤ - ١٧

إيثار بعض الزوجات على بعض

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١٢٩)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ - قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ، فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقَّةُ مَائِلٍ» «١» «٢»

إيثار بعض الأولاد على بعض

عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما - قَالَ: سَأَلْتُ أُمِّي أَبِي بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ لِي مِنْ مَالِهِ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فَوَهَبَهَا لِي، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَنَا غُلَامٌ، فَأَتَى بِي النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّهُ بِنْتُ رَوَاحَةَ سَأَلَتْنِي بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ لِهَذَا، قَالَ: «أَلَمْ وَلَدٌ سِوَاهُ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَرَاهُ، قَالَ: «لَا تُشْهَدُنِي عَلَى جَوْرِ» وَقَالَ أَبُو حَرِيرٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ، «لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرِ» «٣»

سبحانك اللهم وبحمد أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

(١) وعند أحمد (٧٩٢٣): "جاء يوم القيامة يجرُّ أحد شِقَّتَيْهِ سَافِطًا أَوْ مَائِلًا"، وَهَذَا الْحُكْمُ غَيْرُ مَقْصُورٍ عَلَى امْرَأَتَيْنِ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَتْ ثَلَاثٌ أَوْ أَرْبَعٌ، كَانَ الشُّقُوطُ ثَابِتًا. [تحفة الأحوذى - (٢١٦/٣)]
وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الزَّوْجِ النَّسْوِيَّةُ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ، وَيَحْرُمُ عَلَيْهِ الْمَيْلُ إِلَى إِحْدَاهُنَّ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى {فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ}، وَالْمُرَادُ: الْمَيْلُ فِي الْقِسْمِ وَالْإِنْفَاقِ، لَا فِي الْمَحَبَّةِ، لِأَنَّهَا مِمَّا لَا يَمْلِكُهُ الْعَبْدُ. [عون المعبود (ج ٥ ص ١٧)].

(٢) أبو داود (٢١٣٣) صححه الألباني في الإرواء: (٢٠١٧).

(٣) البخاري (٢٦٥٠) مسلم (١٦٢٣).